بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذى خلق فسوى ، وقدر فهدى ، أشهد أن لا اله الا الله القائل : ﴿ **لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم** ﴾(١) .

وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله القائل : « اللهم كما حسنت خلقى فحسن خلقى »(٢) اللهم صلى وسلم وبارك عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين .

وبعد :

ـ ما الذى يجعل الانسان رجلا ؟

سؤال يطرح نفسه على من يتوق الى بلوغ ما يرقو به الى الكمال والرجولة وذلك لأن لكل شىء فى هذه الدنيا وظيفة يؤديها ، وأنه ليحقق كماله بمقدار ما يحسن آداءه لوظيفته التى خلق من أجلها ، على أن ذلك الأداء انما يجود أقصى جودته . عندما يصدر فعله عن طبع لا تكلف فيه ، واذا أردت مثلا لذلك فانظر الى الشمس كيف ترسل ضياءها ؟ ، والى الوردة كيف تنشر أريجها ؟ ، والى الطائر كيف يغرد ؟ .

وعلى هذا النحو يكون الانسان الكامل تجىء أفعاله انعكاسا لطبعه ، فاذا ألقينا على أنفسنا السؤال الذى بدأ به الحديث : هو ما الذى يجعل الانسان رجلا ؟ ـ كان ذلك بمثابة سؤال عن حقيقة النفس الانسانية ما هى ؟

---

(١) التين : ٤ (٢) رواه ابن السنى .

obeikandl.com

لأن درجة الكمال فى افعالنا تتفاوت بتفاوت تصويرها للنفس وهى فى حالة كمالها ؟

ويقول ابن مسكويه فى كتابه : « تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق » إن للانسان قوتين حداهما قوة عالمة والأخرى قوة عاملة .

فبالأولى يفكر الانسان فيما يستدعى التدبر العقلى من شئون حياته . وبالأخرى يعمل لتنفيذ ما كان رسمه لنفسه بفكره .

ولما كان لكل قوة كمالها الخاص بها . كان للانسان وجهان من الكمال يسيران معا . فكمال فى دقة التفكير وتسامى أهدافه وكمال آخر فى اتقان التنفيذ فى التطبيق .

والرجولة هى صفة جامعة لكل صفات الشرف من اعتداد بالنفس واحترام لها . شعور عميق بأداء الواجب . مهما كلفه من نصب ، وحماية لما فى ذمته من أسرة وأمة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، واباء الضيم لنفسه ولها .

والرجولة هى أن يتمسك الانسان بالفضائل ويبتعد عن الرذائل ، وأمهات الفضائل هى : الحكمة والشجاعة والعفة والعدل .

وهذه الفضائل جاءت نتيجة مباشرة لتحليل الانسان الى ثلاث مقومات : فهو ذو عقل ، وهو ذو وجدان ، وهو ذو حاجات تتصل بالجسد . ولكل مقوم من هذه المقومات شكيمة توقفها عند الحد الملائم حتى لا تتجاوز حدودها . فأما العقل فشكيمته أن يلتزم حدود الحكمة .

واذا كانت فضيلة الحياة العقلية أو العلمية هى أن تتصف بالحكمة حتى لا تعيش سهامها ، ففضيلة الجانب الوجدانى من الانسان هى الشجاعة ، فشجاعة الشجاع تكفل له ألا يخاف شيئا فى سبيل الحق ، وما أكثر ما تكون حماية الحق والدفاع عنه فى وجه الباطل ثقيلة الأعباء . لا يقوى على حملها الا الأقوياء بشجاعتهم وبصيرتهم على المكاره التى يرجح أن يجدوها فى طريقهم الى الدفاع عن الحق ، ولا عجب أن نجد الحق والصبر مقترنين فى الآيات الكريمة :

﴿ والعصر . ان الانسان لفى خسر . الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾(١) .

وبقى الجانب الثالث من مقومات الانسان ؛ وهو جانب الحاجات الجسدية التى لا بد منها لاقامة الحياة . وهذه فضيلتها « العفة » التى تكتفى باشباع الحاجة الجسدية على قدر ما هو ضرورى للجسد بغير افراط .

تلك هى مقومات ثلاثة . لكل مقوم منها فضيلته ؛ لكن هناك فضيلة رابعة لا تتصل بمقوم معين ؛ الا وهى العدالة وانها لتتحقق للانسان اذا ما تحققت له الفضائل الثلاث السابقة ؛ أى أنها محصلة تنتج من تلقاء نفسها ، عندما يكون الانسان حكيما شجاعا عفيفا ، فعندئذ يصبح عادلا .

والحكمة والشجاعة والعفة والعدل ؛ هى أمهات الفضائل بمعنى أن سائر الفضائل تتفرع منها .

فالانسان انسان بعقله ؛ وبوجدانه ، وبجسده شريطة أن يلزم كل هذه الجوانب حدود فضيلته ؛ وهى الحكمة للعقل . والشجاعة للقلب . والعفة للبدن ، فاذا تحققت ، كان الانسان وهو فى أسمى درجاته . انسانا يتسم بالعدالة التى هى وضع كل قوة من قواه فى موضعها المناسب(٢) .

أين الرجولة التى كانت رمز القوة الفعالة فى الانسان القديم ؟

الرجولة التى ورثها الصحابى الرجل ؛ عن أبيه العربى الرجل ، عن جده القديم الرجل . فكانت عماد مبدئه الانسانى .

الرجولة التى كانت النار المندلعة والثورة الجامحة فى دماء صحابة

---

(١) سورة العصر .

(٢) انظر : مجلة الحرس الوطنى : العدد (٢٩) بتاريخ رجب ١٤٠٥ هـ ـ ابريل ١٩٨٥ م ، (ص ٧٨ ـ ٨٠) بتصرف .

محمد صلى الله عليه وسلم . وفى دماء أعوانه وأنصاره ، على الجهاد للحق والقوة والمبـدا .

الرجولة التى صبغت كل شىء حولها بطابعها الجبار .

الرجولة التى دوت بها صرخة قائد البشرية الكامل محمد صلى الله عليـه وسلم . فارتفع بها الى قمة المثل العليا ، يوم قال :

« والله يا عم . لو وضعوا الشمس فى يمينى ، والقمر فى يسارى على أن اترك هذا الأمر ما فعلت . حتى يظهره الله ، أو أموت دونه » !

هكذا يقول قائدنا الكامل البطل . بل قائدنا الكامل الرجل فهذه رجولة رجل . قبل أن تكون فضيلة نبى . وقانون دم قبل أن يكون سمة خلق فاضل . وعقيدة مؤمن يستهين الموت فى سبيل التراجع المفروض عليه دونها . غير ناظر الى الجزاء .. هذه قوة ، وجمال ، وحق وحيـاء ورحمة وعـدالة .

حياء من الهزيمة الى الحق ، ورحمة للجاهين بالحق ، وعدالة تأخذ الحق بالحق ألا فلتكن دستورنا . كلمة قائدنا الكامل الرجل . لتكن فينا فضيلة الفاضل . وغيرة الغيـور . ومبدأ المصـلح . وفكرة الأديب وعقيدة الوطنى الحر . جهادا يظهره الله ، أو نموت دونه .

فلا فضيلة بلا ايمان ، ولا ايمان الا بالعمل ، ولا عمل الا بالقوة . ولا قوة الا بالرجولة .

ألا فلتكن الفضيلة ايمانا ، بل مسـعى صـادقا لاظهارها ، ونشر لوائها ، فما تكون الفضـيلة اسـتقامة . حتى تكون مبـدأ يظهره الله أو نموت دونه .

ألا وان فى عنق كل منا رسالة ، لا تتم الأمانة الا بأدائها ، وباقامة منارها وبالكفاح لنصرتها ، ودحض نقائضها[1] .

---

(١) انظر : الرجولة عماد الخلق الفاضل / حمزه شحاته ـ الرياض : نهامه . ١٤٠١ هـ (١٩٨١ م) ص ١٢٠

والرجل هو الذى لا يضيع حياته عبثا ولا يترك وقته يذهب سدى . ولا يضيع فرصته ، والرجل الذى يقضى حياته فى العمل والعبادة ، ويغمر أوقاته بطلب العلم ويكون ذا مروءة سامية وأخلاق عالية ، والرجل هو الذى يضحى بأعز ما لديه فى سبيل رفع مستوى أمته ، واحياء مجد دينه ، والرجل هو الذى اذا قال فعل واذا فعل ثبت .

والرجل هو الذى لا يخاف فى الحق لومة لائم ، ولا يرضى بالذل ، ولا يقنع فى حياته الا بالمجد الصريح .

هذه صفات الرجولة ، فمن استكملها فهو الرجل بحق وهو البطل بصدق ، فالى التحلى بهذه الصفات النبيلة أدعو الناشئة والشباب ليصبحوا رجال الغد وأبطال المستقبل الأماجد .

وعلى الله قصد السبيل ؟

الرياض

محرم ١٤١٤ هـ ـ يوليو ١٩٩٣ م

المؤلف

عبد رب النبى على ابو السعود

obeikan.com